

وَضُّعُ الْعَالِمِ وَالْعُلَمَاءِ

أَعَدَّهُ

أَحْمَدُ بْنُ بِنْيَانَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْحَيْسَوِيِّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَائِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

فَضْلُ الْعَالِمِ وَالْعَالِمَاءِ

أَعْتَدَهُ:

أَحْمَدُ بْنُ بَدِيَّانَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْحَيْسُوْنِي

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِشَايِخِهِ وَالْمُسْلِمِينَ

(أُلْقِيَتْ فِي السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى،

لِعَامِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ وَأَلْفٍ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ، الْوَهَّابِ الْكَرِيمِ، الَّذِي نَوَّرَ الْقُلُوبَ بِنُورِ
 الْفَهْمِ، وَزَيَّنَ الْأَرْوَاحَ بِزِينَةِ الْعِلْمِ، وَجَعَلَ مَدَارِكَ الْعُقُولِ مَفَاتِيحَ لِلْحِكْمِ،
 وَرَفَعَ أَهْلَ الْمَعْرِفَةِ فَوْقَ الْأُمَمِ، فَكَانَ الْعِلْمُ لَهُمْ شَرَفًا لَا يُضَامُ، وَمِيرَاثًا لَا
 يُرَامُ، وَصَلَاةُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، الْمَبْعُوثِ بِالْحَقِّ وَالْهُدَى، ذُو النَّهْجِ
 الْأَسْمَى، وَصَاحِبِ الْخُلُقِ الْأَسْنَى، فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ
 سَارَ عَلَى دَرْبِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

عِبَادَ اللَّهِ، اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ التَّقْوَى، فِي تَقْوَاهُ التَّجَاهُ مِنَ الْفِتَنِ،
 وَالسَّلَامَةَ مِنَ الْمِحَنِ، وَهِيَ وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَوَصِيَّةُ الْأَنْبِيَاءِ
 وَالصَّالِحِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ
 وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾.

عِبَادَ اللَّهِ، اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّهُ لَا طَرِيقَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ، وَالْفُوزِ
 بِجَنَانِهِ، وَالْوُلُوجِ بِكَنْفِ رَحْمَتِهِ، إِلَّا بِالْعِلْمِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ، وَأَنْزَلَ
 بِهِ كُتُبَهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ
 كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ٩ ﴿فَ﴾ الْهُدَى ﴿هُوَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَدِينِ الْحَقِّ﴾ هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ.

عِبَادَ اللَّهِ، وَقَدْ أَعْظَمَ اللَّهُ فِي أَهْمِيَّةِ الْعِلْمِ وَمَكَانَتِهِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ وَأَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِالْقَلَمِ وَمَا يُسْطَرُّ مِنَ الْعُلُومِ، فَقَالَ: ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾. وَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَسَاهُ بِكِسَاءِ الْعِلْمِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾.

وَكَانَ أَوَّلَ النَّعْمِ مِنَ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ بَعْدَ خَلْقِهِ إِيَّاهُمْ، هُوَ تَعْلِيمُهُمْ لِلْبَيَانِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾. وَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ مِنْهُ وَالْآءُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَكَرَ نِعْمَةَ الْعِلْمِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١١٣﴾.

عِبَادَ اللَّهِ، فَضَّلَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَالِمَ فِي دِينِهِ، وَالْعَارِفَ بِشَرْعِهِ عَلَى
 الْجَاهِلِ وَالْغَافِلِ عَنْهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَائِمٌ أَنْتَ سَاجِدًا وَقَائِمًا
 يَحْذِرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا
 يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾.

وَأَنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ لَهُ خَشْيَةً هُمُ الْعُلَمَاءُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى
 اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾.

عِبَادَ اللَّهِ، وَإِنَّ لِأَهْلِ الْعِلْمِ عِنْدَ اللَّهِ مَكَانَةً سَامِيَةً، وَدَرَجَةً عَالِيَةً،
 وَمَنْزِلَةً فَضِيلَةً، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
 دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾. وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ
 النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ
 آخَرِينَ».

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ،
 وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّ الْعَالِمَ
 لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى الْحَيَاتَانِ فِي الْمَاءِ،

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.
أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ غِيَابَ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، مِنْ أَمَارَاتِ قُرْبِ السَّاعَةِ، وَكَثْرَةَ الْفِتَنِ، وَاخْتِلَاطِ النَّاسِ. فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُقْبِضُ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ وَالْفِتْنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْهَرْجُ؟ فَقَالَ: «الْقَتْلُ».

فَاللَّهُ اللَّهُ بِطَلَبِ الْعِلْمِ، فَمِنْ أَعْظَمِ أَمَارَاتِ إِرَادَةِ اللَّهِ الْخَيْرَ لَكَ، هِيَ إِعَانَتُهُ لَكَ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ، فَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

وَاللَّهُ اللَّهُ بِالرُّجُوعِ إِلَى الْعُلَمَاءِ الْأَكْبَرِ، وَالِإِنْتِهَالِ مِنْ عِلْمِهِمْ، وَالْعَمَلِ بِوَصِيَّتِهِمْ؛ فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣).

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦).

